سنة ١٨٩٦ طغى البحر على البر في اليابان بفصل بركاني وغرق ثلاثين الفاً من السكان وخرب ٢٠٠٠٠ بيت

مياه الشرب

اتفق ذوو الشأن اخيراً على تغيير المياه التي يشرب منها اهالي القاهرة فقد كانوا يستقون من النيل من اول عهدهم كما كان يستقي منهُ كل سكان مصر منذ سكن مصر انسان . ثم خطر لرجال الصحة ان يبدلوا ماء النيل بمياه الآبار العميقة حذراً من وصول ميكروبات الامراض اليهِ فوجدوا بالاختبار ان مياه الآبار قاسية لا تصلح للغسل ولا للطبخ وانها تفعل رويداً رويداً حتى اذا طال الزمن سنة أخرى لم يعد ما يستخرج منها كافياً لحاجة السكان فرأوا ان لا بدَّ لهم من الرجوع الى مياه النيل . وهم يبحثون الآن عن افضل الاساليب لترشيحها حتى تصفو وتخلو من الميكروبات ومن المكان الذي يستقون منهُ ولا يبعد ان يتفقوا على الامرين قريباً فيعود السكان الى المياه التي كانوا يشربونها وقد شربها آباؤهم واسلافهم من قديم الزمان وكان بعض امرائهم يرسلون منها الى اولادهم في اوربا اعتقاداً منهم انها افضل المياه

ومن غريب ما يذكر في هذا الصدد ان الشيخ الرئيس ابن سينا علم منذ نحو تسعمائة سنة اموراً يجهلها اكثر ابناء العربية في هذا العصر بل جماعة من الاطباء ورجال الصحة واثباتاً لذلك نتعطف السطور التالية مما ذكرهُ في كتابهِ الشهير المعروف بالقانون قال

الماء ركن من الاركان (اي عنصر من عناصر القدماء وهي الماء والتراب والهواء والنار) وهو وحدهُ من بينها يدخل في جملة ما يتناول لا لانهُ يغذي بل لانهُ ينفذ الغذاء ويصلح قوامهُ فيعين في تسييلهِ وترقيقهِ وبدرقتهِ نافذاً الى العروق فلا يستغنى عن معونتهِ هذه في اتمام امر الغذاء

ثم المياه مختلفة لا في جوهر المائية ولكن بحسب ما يخالطها فافضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن العيون الحرَّة الارض التي لا يغلب على تربتها شيء من الاحوال والكيفيات الغريبة اذ تكون حجرية او من طينة حرَّة ولا كل عين حرة بل التي هي مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح فان هذا مما تكتسب بهِ الجارية فضيلة واما الراكدة فربما اكتسبت رداءة بالكشف لا تكتسبها بالفور والستر

واعلم ان المياه التي تكون طينية السيل خير من التي تجري على الاحجار فان الطين ينقي الماء ويأخذ منهُ المزوجات الغريبة ويروقهُ والحجارة لا تفعل ذلك . لكن يجب ان يكون طين سيلها حرًّا لا حمأة ولا سبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمراً (غزيراً) شديد الجري بعيد المجرى تحيل كثرتهُ ما يخالطهُ الى طيبته

والماء الذي يقدر من مواضع عالية مع سائر الفضائل افضل . وما كان بهذه الصفة كان عذباً لا يطلب عليهِ طعم البتة ولا رائحة سريع تهري ما يبرأ فيهِ وطبخ ما يطبخ فيهِ

واعلم ان الوزن من المشهورات المتممة في تعرُّف حال الماء فان الاخف في اكثر الاحوال افضل . وقد يعرف الوزن بالمكيال

والتصعيد والتقطير مما يصلح المياه الردية فان لم يكن ذلك فالطبخ (اي الاغلاء) والجهال من الاطباء يظنون أن الماء المطبوخ (المغلى) يتصعد لطيفهُ ويبقى كثيفهُ فلا فائدة في الطبخ اذ يزيد الماء تكثيفاً ولكن يجب ان نعلم ان الماء في مائيتهِ متشابه الاجزاء في اللطافة والكثافة لانهُ بسيط غير مركب لكن الماء يكثف اما باشتداد كيفية البرد عليهِ واما لمخالطة شديدة من الاجزاء الارضية التي لفرط صغرها ليس يمكنها ان تنفصل عنهُ وترسب فيهِ لانها ليست بمقدار ما يقدر ان يشق اتصال الماء فيرسب فيهِ . ثم الطبخ يزيل التكثيف الحادث عن البرد اولاً ويخلخل اجزاء الماء خلخلة شديدة حتى يصير ارق قواماً فيمكن ان تنفصل عنهُ الاجزاء الثقيلة الارضية المحبوسة في كثافتهِ وتخرقهُ راسبةً ويبقى ماء محضاً قريباً من البسيط ويكون الذي انفصل بالتبخير مجانساً للباقي غير بعيد عنهُ لان الماء اذا تخلص من الخلط تشابهت اجزاؤهُ باللطافة فلم يبقَ لصاعدها كثير فضل على ما فيها فالطبخ انما يلطف الماء بازالة تكثيف البرد وترسيب الخلط الخالط لهُ والدليل على هذا انك لو تركت المياه الغليظة مدة كثيرة لم يرسب فيها شيء يعتدُّ بهِ واذا طبختها رسب في الوقت شيء كثير وصار الماء الباقي صافياً

ولوم يفرطون في مدح ماء النيل افراطاً شديداً ويجمعون محامدهُ في اربعة بُعد منبعهِ . وطيب مسلكهِ . واخذهُ الى الشمال عن الجنوب لانهُ ملطف لما يجري فيهِ من المياه . وغمورتهُ . اما غمورتهُ فيشاركهُ فيها غيرهُ

والمياه الردية لو استصفيتها كل يوم من اناء الى اناء لكان الرسوب يظهر فيها كل يوم من الراس ومع ذلك لا يرسب منها ما من شأنهِ ان يرسب الاَّ باناة من غير اسراع ومع ذلك لا تنصف تصفياً تاماً

ومن المياه الفاضلة مياه المطر وخصوصاً ما كان صيفياً ومن سحاب راعد واما الذي يكون من سحاب ذي رياح عاصفة فيكون كدر البخار الذي يتولد منهُ وكدر السحاب الذي يقطر منهُ فيكون مغشوش الجوهر غير خالصهِ

الاَّ ان العفونة تبادر الى ماء المطر وان كان افضل ما يكون فيضر بالصدر والصوت . واذا بوور الى ماء المطر فاغلي قلَّ قبولهُ للعفونة والحوضات

ومياه الآبار والنبع بالقياس الى مياه العيون ردية وذلك لانها مياه محتقنة مخالطة للارضيات مدة طويلة فلا تخلو عن تعفن ما . واردأها ما جُعل لهُ مسالك في الرصاص فيأخذ من قوتهِ ويوقع كثيراً في قروح الامعاء

والنزَّ اردأ من ماء البئر لان ماء البئر يستجدُّ ينبوعهُ بالنز فتدوم حركتهُ ولا يلبث اللبث الكثير في المخزن واما النز فيطول تردده في مناقس الارض المعفنة ويتحرك الى الينبوع حركة بطيئة لا تصدر عن قوة اندفاعها بل لكثرة مادتها ولا يكون الاَّ في ارض فاسدة عفنة

واما المياه الجليدية والثلجية فغليظة والمياه الراكدة الاجمية خصوصاً المكشوفة ردية ثقيلة وهي تبرد في الشتاء فتولد البلغم وتسخن في الصيف فتولد المرار ولكثافتها واختلاطاتها الارضية يتولد في شاربيها الحصاة ويرق مراقهم وتحبس احشاؤهم ويصير فيهم وربما وقعوا في الاستسقاء لاحتباس المائية فيهم وربما وقعوا في ذات الرئة وزلق الامعاء والطحال وتضمر ارجلهم وتضعف اكبادهم ويقلُّ غذاؤهم بسبب الطحال ويتولد فيهم الجنون والبواسير والدوالي والادرام الرخوة خصوصاً في الشتاء ويصير على نسائهم الحبل والولادة ويكثر فيهن الحبل الكاذب ويكثر لصيانهم الادر ولكبارهم الدوالي وقروح الساق . والمياه الراكدة كيف كانت غير موافقة للمعدة

والمياه التي يخالطها جوهر معدني او تجري بجراء والمياه الطلقية كلها ردية لكن في بعضها منافع . وفي الذي تغلب عليهِ قوة الحديد منافع من تقوية الاحشاء ومنع الذرب وانهاض القوى كلها

والجمد او الثلج اذا كان نقياً غير مخالط لقوة ردية فسواء يرد بهِ ماء من خارج او أُلقي في الماء فهو مانع الاَّ انهُ اكثف من سائر المياه ويتضرر بهِ صاحب وجع العصب واذا طبخ عاد الى الصلاح . اما اذا كان الجمد من مياه ردية او الثلج مكتسباً قوة غريبة من مسالكهِ فالاولى ان يبرَّد بهِ الماء محجوباً عن مخالطتهِ

والماء البارد المعتدل المقدار اوفق المياه للاصحاء وان كان قد يضرُّ العصب ويضرُّ اصحاب ادرام الاحشاء وهو مما ينبه الشهوة (القابلية للطعام) ويشد المعدة

والماء الحار يفسد الهضم ولا يمكن العطش في الحال وربما ادّى الى الاستسقاء والدق فاما السخن فيجرع على الريق فكثيراً ما غسل المعدة واطلق الطبيعة لكن الاستكثار منهُ ردي؛ يوهن قوة المعدة . والشديد السخونة ربما حلّل التولنج وكسر الرياح من الطحال والذين يوافقهم الماء الحار بالصنعة اصحاب الصرع واصحاب الماليخوليا واصحاب الصداع البارد واصحاب الربو والذين بهم بثور في الخلق واورام خلف الاذن واصحاب النوازل ومن بهم قروح في الحجاب وهو يدر الطمث والبول ويسكن الاوجاع

والماء المالح يهزل وينشف ويسهل اولاً ثم يعقل ويفسد الدم فيولد الحكة والجرب

والماء الكدر يولد الحصى والسدد فليتناول بعدهُ ما يدرُّ على ان المبطون كثيراً ما ينتفع به وبسائر المياه الغليظة الثقيلة . ومن ترياقاته السم والحلزات

والماء الشادري يطلق الطبيعة شُرب منهُ او جُلس فيهِ او احتقن بهِ . والشبّ ينفع من سيلان الفضول ومن نفث الدم وسيلان البواسير غير انهُ شديد الاثارة للحمى في الابدان المستعدة لها . والنحاسي صالح لفساد المزاج

انتهى ما اقتطفناهُ من كلام ابن سينا في هذا الموضوع . والناظر فيهِ بعد اتساع نطاق المعارف ومعرفة اسباب الفساد والامراض يعجب من كثرة الحقائق التي عرفها الاقدمون بالاختبار ولو كانت تعاليلهم لها بعيدة عن الصواب . ومن هذه الحقائق قولهُ ان الماء لا يغذي بذاتهِ ولكنهُ يعين على تسييل الغذاء وان المياه غير مختلفة في جوهرها بل بحسب ما يخالطها وان مياه العيون الجارية المكشوفة افضل من غيرها . والماء الذي يغدر من مواضع عالية مع سائر الفضائل افضل من غيرهِ وان التصعيد والتقطير يصلحان المياه الردية وكذلك الاغلاء . وقولهُ ان الاغلاء يرسب ما يمازج الماء وينقيهِ ولكن للاغلاء فائدة أخرى وهي قتل الميكروبات المضرّة وذلك مما لم يعلم الاَّ منذ عهد قريب . وما ذكرهُ من مدح ماء النيل صحيح الاَّ اتجاههُ من الجنوب الى الشمال فانا لا نرى لهُ وجهاً . وما قالهُ عن ماء المطر صحيح في الجملة وكذلك ما قالهُ عن مياه الآبار وعن التبريد بالثلج وعن الماء البارد والحار وعن المياه الاجنية وعن المياه المعدنية ولاسيما الماء الحديدي والماء النحاسي . ومن الغريب ان الذين جاؤوا بعد ابن سينا من كتّاب العرب لم يجروا مجراهُ في الاقتصار على البحث العلمي بل خلطوا ما كتبوهُ بالاوهام والخرافات وعزوا اقوالهم بالاسناد الى القوة الالهية فقالوا مثلاً ان ماء البئر الفلانية صالح لجميع الامراض حتى لو جمع جميع من داوهُ الاطباء لا يكون شطراً ممّن عافاهُ الله بشربهِ . ولم يضعف العلم شيء مثل الاحالة على القدرة والعناية